الورش والجراج، شيئًا فشيئًا نسى اسمه وعرفه القوم بمجنون الحنفيات، يقلقه يوم ما قد لا يبلغه تجف فيه مياه النيل نتيجة حدوث تغيرات مناخية فى الهضبة الاستوائية أو عند منابع النهر، كتب عدة مقالات فى صفحة الرأى بالأهرام، ولكنه لم يلق ترحيبًا خشية إثارة الفزع عند الرأى العام، تفرغ تمامًا لجمع أدق المعلومات عن الموقف المائى، وتردد كثيراً على مركز البحوث المائية، بذل جهودًا لإغلاق الصنابير المفتوحة، وإصلاح صناديق الطرد المعطوبة، وله أمور شتى معروفة، لكن ما أكده البعض يبدو أنه صحيح، فجنون بيومى لم يكن إلا امتدادًا لهواجس متمكنة من المؤسس نفسه!

كان عم محمد يتردد على كثيرين، يتجول فى الأروقة والمكاتب، أحيانًا يتوقف هنا أو هناك. فى البداية عامله البعض بحذر. إذ إنه يمت إلى جهاز الأمن ليس جزءًا من المؤسسة رغم أنها تضم من لهم صلة قوية بتلك الأجهزة مثل الأزميرلى الذى خرب بيوتًا لكنه أولا وأخيراً من التكوين. بدأ منه واستمر فيه، أما عم محمد فطارئ، يتبع جهة خارجية، يتقاضى مرتبه منها ويأتمر بها، رغم أنه مال إلى العاملين، وإلى المكان، وتمنى أن تمتد مهمته وألا تنتهى.

خاصة بعد أن سهل له الباروطى الحصول على امتياز العلاج الطبى ومكافأة خاصة تصرف له من الخزينة المركزية.

ما أقلق عم محمد غموض الباروطى، خاصة تلك المشاوير الغامضة التى يضطر خلالها إلى الانتظار فى الشارع لساعات بعد دخوله إلى مبان معينة فى الزمالك والمهندسين وعمارة مطلة على حديقة الأورمان قرب الجامعة، هذه العمارة بالذات كان يتردد عليها كثيراً فى الصباح أثناء